مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية

المجلد (33) العدد الأول (يونيو 2020)

جغرافية الدولة العربية الإسلامية ودورها في ترجمة التراث الانساني وحفظه

عبد السلام محمد الحشاني

قسم الجغرافيا، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

Email: alheshani@yahoo.com

الملخص

هدف البحث إلى إبراز الدور المهم الذي لعبته جغرافية الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف، في استثمار إمكانياتها الثقافية وحفظ تراثها المعرفي عن طريق حركة الترجمة العربية، كذلك إظهار قدرة اللغة العربية الاستيعابية لفهم وإيصال مصطلحات ومفاهيم لغة الآخر من وإلى، واستخدم لتحقيق أهدافه المنهج الوصفي و التاريخي التحليلي، ومن أهم نتائجه أنه كان لجغرافية الدولة العربية الاسلامية أثرا كبيرا في تنوع الثقافات والعلوم بين شعوبها والتي استطاعت بفضل المثاقفة التلقائية والتثقيف أن تقيم حضارة مزدهرة راقية زمن العصور الوسطى لاسيما زمن الدولة العباسية، كما استطاعت أن تنجح نجاحا تاريخيا باهرا في قيام حركة تاريخية متميزة للترجمة وحفظ التراث الإنساني من الضياع بكل دقة واخلاص وأمانة علمية حتى وصل إلى عصرنا الحديث.

الكلمات المفتاحية: جغرافية الدولة العربية الإسلامية، ترجمة التراث الانساني وحفظه.

المقدمة

نَجم عن الاتساع الجغرافي الكبير للفتوحات الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين تأسيس أكبر وأقوى دولة إسلامية شهدتها القرون

ISSN: 2706-9524 (Print) ISSN: 2706-9532 (Online)

الوسطى، شكلت خليطا من الشعوب العربية والفارسية والآرامية والمغولية والهندية والصينية والرومية والأفريقية والفرعونية والإغريقية مع اختلاف بيئاتها الطبيعية وموروثها الثقافي والحضاري العريق، وقد استطاعت هذه الدولة استثمار كل المعارف والطاقات العلمية في بناء حضارة مزدهرة قدمت للبشرية نتاجاً وعملاً علميا عظيما ومتميزا، غفل عنه في زمننا الكثير، وهو (حفظ التراث الإنساني من الضياع عن طريق ترجمة جل علوم الإغريق والفرس والهنود والصينيين والآراميين، وغيرهم إلى اللغة العربية كعلوم الرياضيات والهندسة والطب والكيمياء والفيزياء والفلسفة والأدب).

ومع اتساع الدولة وفتح الأندلس (اسبانيا) انتقلت معظم علوم الشرق إلى بلاد الفرنجة (فرنسا وأوروبا) باللغة العربية ، ومنها إلى اللاتينية من خلال هذه المناهل التي ولدت في الصرح العلمي الكبير (بيت الحكمة) الذي بناه العباسيون زمن الخليفة هارون الرشيد (786–809م) واختص بالترجمة من لغات العالم القديم إلى العربية حتى عرفت تلك الفترة تاريخيا بحركة الترجمة، وبذلك استثمرت الدولة العربية الإسلامية جغرافيتها من حيث ثقافة شعوبها وكل العلوم والمعارف لديها ، فازدهرت حضارة هذه الدولة التي يحاول هذا البحث المتواضع من خلال مباحثه وتحليلاته ونتائجه معرفة كيفية انعكاس المعطيات الجغرافية –لاسيما المكان ومكوناته الثقافية المختلفة– على ازدهار هذه الدولة العربية الإسلامية، واستثمار نجاح حركة الترجمة من علوم العجم إلى العربية، وتعميم ثمرة تلك الجهود للعالم قديما وحديثا وفق التقسيم الآتي:

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في إبراز الدور العظيم الذي لعبته جغرافية الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف شرقا وغربا، واستثمار إمكانياتها الثقافية مع حفظ تراثها المعرفي عن طريق حركة الترجمة العربية التي أنقدت الكثير من العلوم والمعارف من الضياع والاندثار، كذلك إظهار قدرة اللغة العربية

الاستيعابية لفهم وإيصال مصطلحات ومفاهيم لغة الأخر من وإلى، وهي صالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها ببساطة لغة القران الكريم كلام الله سبحانه وتعالى.

فرضيات البحث وتساؤلاتها

1) أسهمت جغرافية الدولة العربية الإسلامية بعواملها العديدة كاتساع رقعتها، وموقعها الفلكي، والجغرافي، وطبيعة الموضع، واختلاف ثقافة شعوبها، في امتزاج الثقافات وحدوث المثاقفة بين مجتمعاتها الأمر الذي تمخض عنه نتاج حضارة سامية أنجزت حركة الترجمة وحفظت الكثير من التراث الإنساني.
2) كان لشكل الدولة (خارطتها) دور في اختلاف ثقافة شعوبها واستثمار ذلك التباين لإنجاح حركة الترجمة وحفظ المعارف والعلوم من الضياع والإهمال.
3) استوعبت الثقافة الإسلامية تباين جغرافية المكان البشرية والطبيعية واستثمار معطيات ذلك لبناء دولة قوية حققت نهضة علمية مميزة.

س1/ أي العوامل الجغرافية الأكثر تأثيرا في حضارة الدولة العربية الإسلامية ونجاحها في حركة الترجمة وتحقيق مبدأ المثاقفة بين مجتمعاتها؟

س2/ هل كان لشكل الدولة (خارطتها) دور في اختلاف ثقافة شعوبها واستثمار ذلك التباين لإنجاح حركة الترجمة وحفظ المعارف والعلوم من الضياع والاهمال؟

أهداف البحث

1) التعريف بالدور الحضاري الذي أسهمت به جغرافية الدولة العربية الإسلامية بما تضمه بيئاتها المختلفة من كنوز معرفية وعلمية انعكس من خلال حركة الترجمة لمعارف وعلوم وتراث شعوبها ومن ثم حفظها على شكل مخطوطات ترجمت للعربية وغير العربية.
2) استثمار الثقافات والمعارف و التراث الإنساني الذي تنتجه اختلافات الجغرافيا وبيئاتها المختلفة، ولعل الرقي الحضاري الذي وصلت إليه

الولايات المتحدة والصين خير مثال على نجاح المثاقفة واستثمار البيئات الجغرافية الواسعة للتقدم العلمي في جميع المجالات.

3) إظهار مدى قدرة اللغة العربية على استيعاب جل لغات العالم القديم والحديث بما فيها من مصطلحات، ومفاهيم معقدة، ترجمتها بكل معانيها، ومقاصدها بدقة متناهية، ومثاقفة آمنة، غير منقوصة المعنى.
4) إبراز الدور الحضاري لحركة الترجمة التي أنجزت في بيت الحكمة، أو ما يعرف بدار الحكمة، التي استثمرت جغرافية المكان، وأظهرت مدى قدرة شعوب الدولة العربية الإسلامية على المثاقفة، واستيعاب فكر الأخر، عرب وعجم، رغم اختلاف اللغة والموروث الثقافي.
5) دعم الترجمة الصادقة الأمينة التي تحفظ النص وفكرته من التشويه والتحريف؛ لأنها جزء من مكونات البيئة الجغرافية للمكان، وهي جزء من الملكية الفكرية وشخصية صاحبها، ومثالا على ذلك : كتاب كليلة ودمنة الذي نقله من الهندية إلى العربية عبدالله بن المقفع نصا وروحا، احتفظ بطبيعة البيئة الهندية تحس بها من خلال السطور، حقق بذلك توافق رائع بين الترجمة والمثاقفة، ولا اشكالية فالإنسان ابن بيئته.

أهمية البحث

تتمثل أهمية هذا البحث المتواضع في إظهار الدور الإنساني والثقافي والحضاري الذي منحته جغرافية الدولة العربية الإسلامية بتنوع بيئاتها الطبيعية، وزخم ثقافاتها، ومعارفها المتباينة باختلاف شعوبها لحركة الترجمة الكبيرة التي شهدتها تلك الدولة آنذاك ، كانت خلالها اللغة العربية حلقة الوصل لنشر وصقل وحفظ تلك العلوم التطبيقية منها والإنسانية، وقد امتزجت جميعها في مجتمع راق أنتجت حضارة سامية علما وخلقا. إن هذا البحث يبرز المعطيات الإيجابية لجغرافية الدولة العربية الإسلامية الكبيرة، وما قدمته للإنسانية عبر حركة الترجمة العربية التي نقلت إلينا بكل أمانة وصدق وبراءة جل ما وصلت إليه مختلف تلك الشعوب من حضارة وعلم متضمنة اندماج ومثاقفة لتلك الحضارات.

منهجية البحث

سيتم اتباع المنهجين الوصفي التحليلي لتوضيح الدور الذي لعبته جغرافية الدولة العربية الإسلامية في نهضة الدولة ونجاح حركة الترجمة لجل العلوم وحفظها من الاندثار، وكذلك المنهج التاريخي للوقوف على كل جوانب البحث من حيث أدبيات الموضوع، وما كتب عنه، والجوانب التاريخية الداعمة لفكرة البحث.

۞ ۞ ۞

الكلمات المفتاحية

1) الثقافة (The culture):

معاني كلمة ثقافة في اللغة كثيرة منها الحذاقة والفطنة وسرعة البديهة والتهذيب والتعليم وتقويم المعوج من الأشياء. فيقال: ثقف الشيء وثقافا إذا صقله وحذقه، ويقال للرجل: بأنه ثَقِف لقن ،عندما يضبط معرفته بعلوم الأشياء، ويقال: صبي لَقِن، أي: ذو فطنة وذكاء، والمقصود بأنه واثق المعرفة بما يريد، جاء في حديث أم حكيم بنت عبد المطلب: إني حصان، فما أكلم، وثقاف فيما أعلم (السائح،2007).

وهي كما وردت بالمعاجم اللغوية تستخدم للدلالة على المعنويات والحسيات، لكن الكلمة قد شاع استعمالها بمعان عديدة ومختلفة حتى يكاد معناها لا يتصل بمدلولها اللغوي المذكور بالمعاجم اللغوية، ومن ذلك استعمالنا الشائع لها (الثقافة) على أنها مجموعة المعارف والعلوم المختلفة لدى شخص ما، فيقال: فلان مثقف بمعنى ملم بمختلف المعارف.

وقد وردت بالقرآن الكريم في العديد من الآيات منها قوله تعالى من سورة البقرة الآية 19: ﴿واقْتُلُوهُمْ حَيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، وفي قوله تعالى من سورة النساء الآية9: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيثُ ثَقِفْتُمُوهم﴾ –وأيضا– في قوله تعالى من سورة الأنفال الاية57: ﴿فإمَا تثقفنهم فى الحرب فشّرد بِهِم من خلفهم﴾، ومعنى ثقف هنا مأخوذة من

الثقاف، أي: الظفر بالشيء، والقصد الظفر بالمشركين مغلوبين مع التمكن منهم، ومعناه تأسرهم، وتتمكن منهم في ثقافك.

وفي مقدمة (طبقات الشعراء) لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي، ورد لفظ ثقافة معطوف على لفظ صناعة، في قوله: "وللشعر صناعة وثقافة، يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم، منها ما ثقفه اللسان" حيث يرى أهل العلم إن مدلول (ثقافة) كما يفهم من حديث ابن سلام يعني الفهم والحذق والقدرة ،أو ما يعرف بما نسميه (الملكة) فإذا أضيفت إلى الشعر كانت ملكة الشعر، أي: القدرة على فهمه ونقده وحذقه (الخطيب، 1397 هـ).

وكلمة ثقافة بمعناها الضيق تعني تنمية الملكات العقلية وصقلها بوافر المعرفة، ومعناها الواسع هي صفة ذلك الشخص المتعلم الذي تمكن من تنمية علمه وذوقه وحسه، كما تستخدم كلمة ثقافة –أيضا– للدلالة على التربية المؤدية إلى اكتساب المثل العليا، وإنماء القدرات العلمية والمعرفة بشكل عام (معهد الانماء العربي، 1986) هذا فيما يتعلق بالفرد، أما فيما يتعلق بالأمة فهي تمثل شخصيتها، وهويتها، بما تضمه من عادات، وتقاليد، ولغة، وتراث (المليجي، 1985).

2) المثاقفة (Intellectual):

اكتساب قوم أو فرد ثقافة قوم آخرين أو ثقافة شخص ما، أو قيام فرد أو جماعة بمواءمة نفسه أو نفسها مع الأنماط الاجتماعيَّة أو السلوكيَّة والقيم والتقاليد السائدة في مجتمع آخر، تساعد الترجمة والمثاقفة على معرفة الآخر، وهي "مجموع الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأولية للجماعة أو الجماعات".

ظهر مصطلح المثاقفة عام 1880 على يد الأنثروبولوجيين الأمريكيين، وقد ظهرت معه عدة معاني ومفاهيم للكثير من المهمومين بالمسألة، ومنهم أتباع السيكولوجيا الاجتماعية التي تفسر المثاقفة على أنها: تلقي الطفل للثقافة من المحيط الذي حوله بما تتضمنه تلك البيئة من مكونات طبيعية وبشرية،

ويرى الفيلسوف "روجي باستيد" (Roger Bastide) أن ذلك يعني التنشئة الثقافية (Enculturation) أو الاجتماعية (Socialization). وقد استبدل الانجليز مصطلح المثاقفة بمصطلح التبادل الثقافي (Cultural exchange)، بينما فضل الأسبان مصطلح التحول الثقافي (Transculturation)، وبذلك لم يعد مصطلحا محدد المعاني؛ بل مفهوم نسبي حسب وجهات النظر المختلفة، إلا أن مصطلح المثاقفة أصبح أكثر تداولا وانتشارا (Roger Bastide, 1968).

وتتم عمليات المثاقفة غبر مراحل حدوثها بطريقتين:

أ) المثاقفة التلقائية (Automatic intellectual):

المتأتية من التواصل السلمي والعفوي بين الأفراد الذين يجمعهم عمل مشترك أو زمالة دراسة أو تبادل تجاري أو صداقات عمل، يتم فيها اكتساب الثقافة للطرفين جماعة أو فردا رغبة وطوعا من أجل نفع مادي أو معنوي، وقد تتأتي نتيجة سنوات من الحروب والصراعات تتمكن أطرافها من شرب ثقافة بعضها البعض.

ب) المثاقفة المفروضة (Imposed culture):

تتم بهيمنة القوي على الطرف الضعيف وفرض ثقافته عليه عنوة دون اعتبار لثقافته، وهي شكل من أشكال الإمبريالية، مثال ذلك سيطرة الإيطاليين على ليبيا منذ1911-1945م وفرض ثقافتهم على الليبيين عن طريق فتح المدارس الايطالية، والكنائس، والمصارف، وسيطرة العسكر، وذلك بعد سلب حقوقهم الاقتصادية، والسياسية، و شعائرهم الدينية، كما حدث زمن الاكتشافات الجغرافية للهنود الحمر السكان الأصليين لقارتي أمريكا. غير أن انتشار حركات الاستقلال خلال القرنين التاسع عشر والعشرين أدى إلى ظهور ما اصطلح عليه بالمفردات (reserves) بكندا والولايات المتحدة الأمريكية، وتمثل أراضي محجوزة يقطنها السكان الأصليون (السعدني، 1998).

وكان العالم الأنثربولوجي الأمريكي جون ويسلس باوول John Wesly Powell المتوفى عام 1902م أول من أستخدم مصطلح المثاقفة وظيفيا،

وخلال سنة 1936م وصل مجلس البحث في العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى التعريف التالي: "المثاقفة هي مجموعة الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأولية للجماعة أو الجماعات (بوهرور، 2011).

ج) تعريف روجيه باستيد Roger Bastide للمثاقفة:

"بأنها علاقة تفاعلية تطبيقية بين ثقافيتين مختلفتين أو أكثر، تنشأ جراء توليد علاقة تتميز بتبادل الخبرات والمعارف، أو انتقالها من حقل منهجي إلى آخر إراديا".

3) الاستيلاب الثقافي (Cultural staging):

يقصد به اكتساب ثقافة الأخر بعد تداولها وتطور استعمالها وممارستها والقناعة بها حتى تنسلخ الجماعة أو الفرد عن الثقافة الأصلية، وتحيا بالثقافة المكتسبة.

4) التثاقف (Acculturation):

التعالي على ثقافة الأخر، وفرض الشروط عليها، ويعني التفاعل الثقافي الامبريالي مع ازدراء ثقافة الأخر، ومحاولة طمسها أو الحد من استمرارها.

5) التثقيف (Education):

ويقصد به التفاعل بين العلوم والمعارف ضمن ذات الثقافة، أو بين ثقافة وأخرى، كالامتزاج بين الثقافة العربية وثقافة العجم داخل جغرافية الدولة العربية الإسلامية مع امتداد الفتوحات شرقا وغربا.

6) البين–ثقافية (Intercultural) أو العبر–ثقافية (Cultural-cross):

تستخدم معظم اللغات الأوروبية كلمة (Intercultural) كمدلول على الكلمة العربية "البينثقافية" وهو يعادل كلمة أخرى هي "العبر–ثقافية" كصفة لوصف الظواهر والمجالات الفرعية التي قد تتداخل مع هذه الظاهرة، فهناك مثلاً مجال "التسويق عبر–الثقافي" والذي يمكن أن نطلق عليه أيضاً "التسويق

البينثقافي" (Intercultural Marketing)، وهناك "إدارة المصادر البشرية العبر–ثقافية" (Intercultural Human Resource Management). وإذا ألقينا نظرة على اللغات الأوروبية المختلفة نجد أن مصطلح "البين–ثقافي"، "البينثقافي"، "العبر–ثقافي"، "عبر–الثقافي"، "متباين–الثقافات"، وأحياناً "التثاقفي" أو "المثاقفي"، وإلى غير ذلك من المصطلحات العربية التي تدل جميعاً على نفس المدلول، ونجد أن "البين–ثقافي" يشار إليه في الألمانية (interkulturell)، وفي الفرنسية (interculturel)، وفي الإسبانية (intercultural)، وفي الإنجليزية (intercultural)، أما في العامية الإنجليزية وخاصة في أمريكا فيعرف بـ (cross–cultural). وفي مجالات البحث العلمي والدراسات الأكاديمية نجد أن أغلب الباحثين الناطقين بالإنجليزية يستخدمون مصطلح (Intercultural Psychology) للحديث عن "علم النفس العبر–ثقافي" وليس (Cross-Cultural Psychology) (حسين، 2008).

المبحث الأول

فكرة موجزة عن جغرافية الدولة العربية الإسلامية، مكوناتها الثقافية

1) جغرافية الدولة العربية الإسلامية

الموقع الجغرافي:

امتد موقعها الجغرافي من حدود الصين الغربية وأواسط الهند شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن المحيط الهندي والقرن الأفريقي جنوباً إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالاً، وبذلك كانت تضم بلاد السند وخراسان وما وراء النهر (سيحون وجيحون) وإيران والعراق والجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي. وهي بلدان عريقة، عامرة بالبشر على مختلف أجناسهم ولغاتهم وثقافاتهم منذ القدم، لكنها امتزجت جميعها مع الثقافة العربية الإسلامية امتزاجا قويا ، وتحقق فعل المثاقفة التلقائية بين سكانها على أكمل وجه، أثمر نتائج

حضـــارية راقيـــة انعكســـت أثارهـــا علـــى الأحـــوال الاجتماعيـــة، والسياســـية، والاقتصادية، والثقافية، وانصهرت جميعها في وعاء الدولة العربية الإسلامية ، وتولد عن ذلك حضارة مزدهرة وسامية حتى أضحت كأنها ذات جنس واحد، حيث أذاب الإسلام بسماحته ويسره كل الفروق الفردية والقومية. تمثل الخارطة (1) الدولة العربية الإسلامية (العباسية).

خارطة (1): الدولة العربية الإسلامية (العباسية). المصدر: فولفغانغ شفانيتس (التاريخ والذاكرة في الإسلام)، ترجمة: علي مصباح، متاح على موقع: القنطرة-2005. الخارطة بعد معالجة من قبل الباحث.

2) العوامل الجغرافية وأثرها على حضارة الدولة آنذاك

أسهمت العديد من العوامل الجغرافية في تقدم وازدهار الدولة الإسلامية لاسيما زمن الدولة العباسية التي بلغت خلالها الدولة أقصى اتساعها وكان من أهم تلك العوامل ما يلي:

1) الموقع الفلكي للدولة الذي امتد لحوالي ثمانين خط طول تقريبا من البرتغال غربا حتى حدود الصين شرقا بين خطي طول 10^0 غرباً و 70^0 شرقاً تقريباً، (مصلحة المساحة، 1978) وهو بذلك يضم كثيراً من الأقاليم

الجغرافية المتنوعة، والسلالات البشرية المختلفة، والبيئات الجغرافية الرطبة والجافة، المعتدلة والدفيئة.

2) الموقع الجغرافي الكبير الذي توسط قارات العالم القديم، وضم أهم طرق المواصلات البرية والنهرية والبحرية آنذاك، بما في ذلك المضائق البحرية الهامة كمضيق هرمز، وباب المندب، وجبل طارق، وتونس صقلية، كذلك توسطت مدنه الهامة وعواصم الدولة بغداد ودمشق ومكة المكرمة والقاهرة مركزا اقتصاديا وسطا بين جناحي الدولة شرقاً وغربا .

3) تميز الموضع الجغرافي بكثرة البيئات الطبيعية ذات الموارد الطبيعية الجمة، كالغابات والمراعي والأنهار (سيحونوجيحون، دجلة والفرات، بردى، الليطاني، النيل، مجردى، أنهار المغرب العربي)، والمعادن، والترب الخصبة حول الأنهار مثلما الحال في العراق التي عرفت قديما ببلاد الرافدين وأرض السواد لكثرة خضرتها (العاني، 2013).

4) تطل الدولة على كثير من البحار الحيوية، والمضائق الهامة، والخلجان، والأنهار الغنية أهمها: البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأسود، وبحر قزوين، وبحر العرب، والمحيط الهندي، والأطلسي، كذلك خليج عمان، والخليج العربي، خليج سرت، وجميعها أعطت للدولة آفاقاً واسعة للانفتاح الاقتصادي من حيث النقل والمواصلات والتجارة مع العالم القديم، وامتزاج الثقافات والحضارات والخبرات والكفاءات العلمية، إضافة لما بها من ثروات سمكية وغيرها، ومصادر المياه العذبة للاستهلاك البشري والزراعة.

5) امتداد الدولة العريض جعلها ذات أقاليم مناخية ونباتية وحيوانية متباينة، وهذا التنوع الكبير في البيئة الطبيعية وهب وفرة من الموارد المتجددة ، كالطاقة الشمسية وقوة الرياح والأمطار، والمحاصيل الزراعية المختلفة، والشجرية، والحيوانية، زادت من قوة الدولة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

6) انعكس اختلاف ثقافات الشعوب على الدولة ايجابياً عندما انصهرت جميعها في الثقافة الإسلامية الواحدة، فكانت عاملا من مكامن قوة للدولة، كان من نتاجها نجاح حركة الترجمة، وحفظ التراث الإنساني لكافة العلوم.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

الحدود الزمنية، الدراسات السابقة

1) الحدود الزمنية للبحث

من قيام الدولة الأموية (41-132 هـ/662-750 م) وحتى نهاية الدولة العباسية (132-656 هـ/750-1258م).

2) الدراسات السابقة

عبد علي خفاف (جغرافية العالم الإسلامي: اسس عامة في المحيطين الطبيعي والبشرى)، الطبعة الثالثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1998.

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، (أطلس تاريخ الدولة الأموية)، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 2011.

حمدي حسين علوان التميميّ، (الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسيّ)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 22، جامعة تكريت، العراق، 2015.

مكي، حسن محمد أحمد، التواصل العربي الإفريقي على جنابي الصحراء، دراسات إفريقيا، مجلة بحوث نصف سنوية، العدد (29)، يونيو 1998- صفر 1419هـ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان.

اندريه ميكيل، "العالم والبلدان.. دراسات في الجغرافيا البشرية عند العرب"، ترجم من الفرنسية: محمد آيات حنا، متاح على موقع: إيلاف، 2001.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

دور جغرافية الدولة العربية الإسلامية في ترجمة التراث الإنساني وحفظه، المثاقفة داخل الدولة

1) دور جغرافية الدولة العربية الإسلامية في ترجمة التراث الإنساني وحفظه

اتسعت الدولة العربية الإسلامية بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية شرقا وغربا بعد امتداد الفتوحات خلال قرنين من الزمن، حيث انتشر الإسلام بين مجتمعاتها بكل يسر وقناعة، فكانت دولة قوية الأركان شكلت مزيجا مختلفا من العرب والعجم على اختلاف ألسنتهم، وثقافاتهم، وتباين جغرافية أوطانهم، وبيئاتهم، وموروثهم الثقافي، والحضاري، وقد استثمرت الدولة ذلك التباين الجغرافي بكل ما يضمه من معارف، وعلوم، وثقافة، وكفاءات علمية في كل مجالات المعرفة في بناء حضارة متميزة قدمت للعالم انجازا علميا خالدا لمن لحقه كاملا من الاهتمام، وذلك بترجمة زخما هائلا من التراث الإنساني لشتى العلوم التطبيقية والأدبية للإغريق والهنود والصينيين والأراميين والفرس والروم، وغيرهم إلى اللغة العربية ومن ثم نقلها للغات أخرى.

تاريخيا بدأت الترجمة بالدولة العربية الإسلامية منذ عهد النبيّ –صلى الله عليه وسلم– عندما طلب من الصحابي الجليل زيد بن ثابت –رضي الله عنه– أن يكون كاتبه ومترجماً له، يروي زيد ذلك بقوله: (أمرني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتعلمتُ له كتابَ يهود، وقال: «إِنّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» فتعلمته، فلم يَمُرَّ بي إلا نصف شهر حتى حَذَقْتُه، فكنتُ أكتبُ له إذا كَتَبَ وأقرأُ له إذا كُتِبَ إليه) رواه أبو داود، وبذلك كان زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي أول مترجم في الإسلام أتقن اللغة اليونانية والفارسية والسريانية، ووجد على بردية عتيقة يعود تاريخها إلى سنة 22 هـ نص باسم عمرو بن العاص عليها ثلاثة أسطر باليونانية وتحتها ترجمة لها بالعربية (مصطفى، 2013).

وبسبب الحاجة للتواصل مع العجم لأجل نشر الإسلام لغير العرب شهد عصر النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بعض أنشطة الترجمة، فكان الصحابي الجليل سلمان الفارسي –رضي الله عنه– له السبق في ترجمة سورة الفاتحة إلى الفارسية .

أما الترجمة العلمية فقد بدأت في القرن الأول من التاريخ الهجري وأواخر السابع الميلادي مع عهد الأمير الأموي خالد بن يزيد الذي تميز بحبه للعلم والعلماء، وقد أهتم اهتماما خاصا بالترجمة وهو أول من سعى في نقل علوم الطب والكيمياء والفلك للعربية، وذلك بتكليف بعض من اليونانيين المقيمين في مصر يُجيدون العربية، وقد تُرجم أول كتاب من اللغة اليونانية إلى العربية، واسمه (أحكام النجوم) مؤلفه هرمس، كما أهتم الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالترجمة، فقام بتكليف الطبيب اليهودي (ماسر جويه) بترجمة كتاب طبي مؤلفه الطبيب (أهرون) من سكان الإسكندرية من السريانية إلى العربية، ومن الذين اشتهروا بالترجمة في العصر الأموي يعقوب الرهاوي الذي نقل كتب كثيرة من اللغة اليونانية إلى العربية (الغربي، 2016).

وخلال الدولة العباسية قام الخليفة هارون الرشيد (786–809م) الذي اهتم بالعلم والعلماء والترجمة خلال أسفاره وحملاته وبعثاته ببناء مجمع علمي ضخم ضم خزانة كبيرة للكتب اشتملت على كتب متنوعة، ومخطوطات في مختلف العلوم والآداب بمختلف اللغات. وقد أطلق على هذا الصرح العلمي (بيت الحكمة) أو (دار الحكمة) كما عرف –أيضاً– بخزانة الحكمة وخزانة بيت الحكمة المأمونية.

جُمعت كل تلك المخطوطات والكتب عن طريق ثلاثة أجيال متعاقبة من الخلفاء، أولهم الخليفة أبو جعفر المنصور (754–775) الذي شيد مدينة بغداد، ثم الخليفة محمد المهدي (773–783م) وأخيرا الخليفة هارون الرشيد. وقد اعتاد العلماء، والمترجمون، والوراقون، والناسخون، والمؤلفون، والكتاب، والمثقفون، وغيرهم أن يجتمعوا يومياً بمجمع بيت الحكمة للتداول والتحاور حول أمور الترجمة، والاطلاع، والكتابة، والنسخ، والخطابة، والحوار، والنقاش. وبذلك تمت ترجمة الكثير من الكتب والمخطوطات لمختلف المواضيع العلمية والمفاهيم

والآراء الفلسفية إلى مختلف اللغات ، وكانت لغة التحدث والقراءة والكتابة في ذلك المجمع هي اللغة العربية –كلغة مشتركة– بالإضافة إلى الفارسية والعبرية والآرامية والإغريقية واللاتينية، كما استخدمت اللغة السنسكريتية –أحياناً– لترجمة المخطوطات الهندية القديمة المتعلقة بعلوم الفلك والرياضيات، وهكذا حققت جغرافية الدولة العربية الإسلامية مبدأ المثاقفة التلقائية Automatic intellectual أتت عن طريق التواصل السلمي والعفوي والتداول المشترك بين مجموعة ثقافات مختلفة بأريحية تامة، ولم يكن ذلك نوع من التثاقف Acculturation الذي يعني التفاعل الثقافي الامبريالي، بمعنى طمس ثقافة، وسيطرة ثقافة أخرى على الوسط المجتمعي، كما حققت جغرافية الدولة آنذاك هدف التثقيفEducation وهو الامتزاج بين الثقافة العربية وثقافات العجم• وقد أنجز الخليفة عبد الله المأمون نجل الخليفة هارون الرشيد(813–833) توسعة كبيرة لصرح بيت الحكمة، وخصص رواقاً خاصاً لكل فرع من العلوم، وكلف حنيناً بن اسحق الذي كان يتقن السريانية والعربية والفارسية واليونانية رئيسا لقسم الترجمة. روي أن حنين كان يختار الأوراق السميكة لكتبه، كما كان يأمر كاتبه بأن يكتب بحروف غليظة وأن يترك مساحات أكبر بين السطور. ولذلك كان يكافئه الخليفة بوزن كل كتاب يترجمه ذهبا، وقد ترجم الكثير من الكتب الفارسية والإغريقية والسريانية إلى اللغة العربية.

وبلغ من اهتمام الخليفة عبد الله المأمون بالعلم والترجمة لدرجة إنه جعل من شروط الصلح مع أعدائه أن يجلبوا له ما لديهم من كتب، وقد حصل ذلك فعلا مع حاكم صقليَّة، و بعد تردد الأخير في الرد أشار عليه المطران الأكبر بقوله : "أرسلها إليه؛ فو الله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها"، فأرسلها إليه، وكانت أغلبها كتب إغريقية علمية وفلسفية، وتكرر ذلك –أيضا– مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث، إذ اشترط عليه المأمون مقابل الصلح أن يتنازل له عن أهم المكتبات الشهيرة في القسطنطينية، وعند شيوع النصرانية في اليونان ألقيت جل الكتب في سراديب، فأرسل الخليفة المأمون في طلبها من ملوك الروم، ومنهم توفيل، تيوفيولس، فاعتبروا ذلك الطلب مكسبا لهم مقابل

الغرامات المادية المطلوبة منهم. بينما أعتبر الخليفة المأمون ذلك كسبًا علميًّا عظيمًا، فجمع الروم الكتب من الناس، ووضعوها داخل مبنى هيكل قديم، وأقفلوا عليها الأبواب، ففتح ملك الروم توفيل الهيكل، وبعث بخمسة أحمال من المخطوطات والكتب إلى الخليفة المأمون (النملة،2017).

حظيت الترجمة وحفظ التراث الانساني لدى الدولة العربية الإسلامية في مختلف العلوم بالإبداع والتأصيل وذلك بوجود المراجعين للنقول والنصوص المترجمة، حيث يقابلونها بالأصول مما يؤكد الدقة والأمانة والمصداقية العلمية. وفي مرحلة متقدمة كانت الترجمة والنقل من اليونانية تتم عن طريق مترجمين مسلمين بعد أن كانت تتم بواسطة السريان، مما زاد من دقة وأمانة الترجمة والنقل (النملة، 2017) .

وللأسف الشديد أن بيت الحكمة قد انتهى نهاية مؤسفة وموجعة في الثاني عشر من شهر فبراير عام 1238م بعد غزو التتار المغول لبغداد بقيادة هولاكو (حفيد جنكيز خان) الذي أعدم آخر خلفاء بني العباس (المستعصم) و ذبح جميع أفراد أسرته وأقاربه وكل من كان في قصر الخلافة بدم بارد رغم الاستسلام لهولاكو تجنبا لمنع تدمير مدينة بغداد، وتم إلقاء كميات كبيرة من الكتب في مياه نهر دجلة حتى صار لون المياه أسودا لعدة أيام بسبب الحبر الذي كتبت به الكتب والمخطوطات.

استثمرت الدولة العربية الإسلامية اختلاف ثقافة جغرافية الأمصار والبلدان التي ضمت مزيجا مختلفا من البشر بمختلف الثقافات، فاستطاعت الدولة استثمار هذا المزيج الثقافي، وتحقيق مستوى سام من المثاقفة التلقائية Automatic intellectual بكل عفوية وأريحية امتزجت من خلالها الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافة الفارسية والإغريقية والرومانية، والسريانية، والهندية، والصينية، والفرعونية، وغيرها من لغات العالم آنذاك، وتوجت دورها العظيم بإنجاز تاريخي ألا وهو حركة الترجمة التي اتخذت من دار الحكمة أو بيت الحكمة في بغداد مقرا لها، وهكذا أدت جغرافية الدولة العربية الإسلامية دورا تاريخيا كبيرا في استثمار ثقافة شعوبها، وترجمة ونقل العلوم الإنسانية والتطبيقية

من العالم القديم إلى العصر الحديث عبر أطراف الدولة العربية الإسلامية في الغرب بالأندلس (شبه جزيرة ايبيريا) بإسبانيا والتي استمرت فيها الدولة أكثر من أربعمائة عام انتقلت خلالها كل التراجم من جل العلوم من طب وكيمياء وفيزياء وفلك وفلسفة إلى أوربا، فكانت الجذور التي نشأ بها عصر النهضة الذي ولد في ايطاليا وترعرع في بريطانيا وفرنسا.

2) المثاقفة داخل الدولة

جاء الإسلام للناس كافة يخاطب كل الأجناس ويتواصل مع مختلف ثقافاتهم، فهو رسالة عالمية صالحة لكل زمان ومكان، إنه دين الانفتاح، والتفاعل، والتكامل، من أجل الحياة الكريمة المستقرة القائمة على العدل، والمساواة، والأخوة، والأمن، والأمان، وليس دين الانغلاق والانطواء على الذات.

ان انتشار الإسلام واتساع الدولة العربية الإسلامية وما حققته ثقافتها في كل أرجائها من نجاح كبير، وقد حققت الاستلاب الثقافي Cultural staging في كثير من جوانب الحياة الثقافية ، منها انتقال الأرقام العربية إلى أوربا وباقي دول العالم عن طريق ما يعرف اليوم لدى الأوربيين البين–ثقافية Intercultural أو العبر–ثقافية Cultural-cross بالأسلوب التجاري والثقافي، وقد كانت قبلها الأرقام الرومانية هي السائدة في المداولات والحساب وتاريخ المناسبات، استخدمتها تدريجيا شيئا فشيئا حتى راق لها استعمالها عن قناعة تامة، واختفت من حياتها الأرقام الرومانية، وقد شهد الإغريق بذلك عندما قالوا: "إن العرب قد نقلوا كنوز القدامى إلى بلاد الغرب" وشهد شاهد من أهلها بقلم الكاتبة المستشرقة الدكتورة زيغريد هونكه مخاطبة العرب بقولها: "إن الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب" (هونكه، 1964).

النتائج

1) كان لجغرافية الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف من حدود الصين والهند شرقا حتى اسبانيا غربا أثر كبير جدا في تنوع الثقافات والعلوم بين شعوبها، التي استطاعت بفضل المثاقفة التلقائية Automatic intellectual والتثقيف Education والاستلاب الثقافي Cultural staging أن تقيم حضارة مزدهرة راقية زمن العصور الوسطى لاسيما زمن الدولة العباسية.
2) بفضل المثاقفة التلقائية Automatic intellectual و التثقيف Education والاستلاب الثقافي Cultural staging داخل الدولة العربية الإسلامية استطاعت الدولة أن تنجح نجاحا تاريخيا باهرا في قيام حركة تاريخية متميزة للترجمة وحفظ التراث الإنساني من الضياع بكل دقة وإخلاص وأمانة علمية حتى وصل إلى عصرنا الحديث.
3) كان للدولة العربية الإسلامية تجربة فريدة ورائدة في استثمار جغرافية المكان وتنوع موروثها لثقافي والعلمي، لاسيما في سياق الترجمة، والمثاقفة العفوية، بكل أمن وأمان ومصداقية علمية تامة يمكن لنا الاستفادة منها وتكرار نجاحها، خاصة مع الإمكانات العصرية الحديثة التي تسهم بفاعلية كبيرة في ذلك كالأنترنيت والحاسوب وبرامجهما المتطورة ، ومنها نظم المعلومات الجغرافية GIS وغيرها.

التوصيات

1) تفعيل الدور الثقافي لجغرافية المكان، والاستفادة من تجربة الدولة العربية الإسلامية في ذلك، واستثمار تباين الثقافات استثمارا ايجابيا لتحقيق مبدأ المثاقفة والتثقيف والسمو الفكري والوعي لمواجهة تحديات العصر.
2) تفعيل الدور الثقافي للترجمة في البلاد العربية للاستفادة من التباين الجغرافي للعالم بما فيه من اختلاف الثقافات والمعارف، خاصة مع تطور

دول العالم في شتى العلوم ونقله للعربية باستخدام التقنية الحديثة ونظم المعلومات الجغرافية.

3) السمو بالفكر الجغرافي، وتحفيز المثقفين والمترجمين على الترجمة خاصة مع تطور أساليبها بالتقنية الحديثة.
4) على الدول العربية إقامة المراكز العلمية، والمؤسسات المعنية بالترجمة، وتشجيع من يقوم بذلك ماديا ومعنويا، لأن الترجمة حلقة الوصل بين ثقافات الشعوب نحو التطور والإبداع على مختلف جغرافيتها.
5) إقامة الأنشطة العلمية، والثقافية المعنية بالترجمة وتفعيل دور الترجمة بين أفراد مجتمع المعرفة خاصة الجامعات، والمراكز الثقافية، والتواصل مع نظيراتها في العالم حتى تستمر المثاقفة بين الشعوب.
6) الاهتمام باللغات الحية التي تطورت شعوبها، وحققت تقدما علميا كبيرا كاللغة الانجليزية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والصينية، والاهتمام – أيضا– باللغة العربية، خاصة وأن العالم أضحى قرية صغيرة طوت بعدها الجغرافي وسائل الاتصال الحديثة كشبكة الانترنت والأقمار الاصطناعية، وغيرها.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع اللغة العربية

السائح، أحمد عبدالرحيم (2007). مجلة التواصل، العدد الرابع عشر، اكتوبر، ص 37، طرابلس، ليبيا.

الخطيب، عمر عودة (1397 هـ). لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

معهد الإنماء العربي (1986). الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، لبنان.

المليجي، يعقوب (1985). المدخل للثقافة الإسلامية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

السعدني، خليل (1998). مساءلة مفهوم المثاقفة، مجلة فكر ونقد، العدد 16.

بوهرور، حبيب (2011). لتمثل الآخذ في النص الادبي الأوربي الحديث مقاربة لآليات التفاعل النصية. مجلة آداب البصرة، العدد(56)، جامعة قطر.

حسين، أحمد محمد (2008). العبر – ثقافية، البين–ثقافية، المثاقفة والتثاقف: دراسة مقارنة من أجل تحديد المفاهيم، مدينة دورتموند، ألمانيا.

مصلحة المساحة (1978). الأطلس الوطني، الطبعة الأولى، شركة ايسليت لخدمة الخرائط بأشراف مصلحة المساحة، استوكهولم، السويد.

العاني، أسامة عبد المجيد (2013). أسباب النهوض الاقتصادي للحضارة الإسلامية، 15 أكتوبر، متاح على موقع: الاقتصاد الاسلامي.

الغربي، الصغير (2016). الترجمة العلمية في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وأثرها في تطور اللغة العربية، 12 ديسمبر 2016. متاح على موقع: منظمة المجتمع العلمي العربي: [http://arsco.org/home].

مصطفى، حسام الدين (2013). تاريخ الترجمة العربية، متاح على موقع: جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات.

النملة، على بن ابراهيم (2017). مراكز النقل والترجمة الخلافة العباسية (الطور الثاني)، متاح على موقع : الألوكة الثقافية، رابط الموضوع [https://www.alukah.net/culture/0/117172/#ixzz6742DGZH1].

النملة، على بن ابراهيم (2017). مراكز النقل والترجمة الخلافة العباسية (الطور الثاني)، متاح على موقع: الألوكة الثقافية، رابط الموضوع [https://www.alukah.net/culture/0/117172/#ixzz674S1refs:].

هونكه، زيغريد (1964). شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في اوربا، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الغوري، الطبعة الثامنة، دار الجليل، بيروت، دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Roger Bastide (1986). "Acculturation", in Encyclopedia Universalis, 20 vols. (Paris: Encylopaedia Universalis, vol. 1, France.

The Geography of The Arab Islamic State and Its Role in Translating and Preserving The Human Heritage

Abdul Salam Muhammad Al-Hashani

Department of Geography, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University, Zliten, Libya.

Email: alheshani@yahoo.com

Abstract

This research aims to highlight the important role that the geography of sprawling Arab Islamic state played in investing its cultural potentials and preserving its knowledge heritage through the Arabic translation movement. Also, the article aims at illustrating the capacity of the Arabic language for understanding and conveying concepts and terminologies from and to other languages. Descriptive and historical analytical approaches were used to achieve the research goals. The findings revealed that the geography of the Islamic Arab state contributed in the diversity of cultures and sciences among its peoples. In addition, the geography of the Islamic Arab state established a thriving civilization during the Middle Ages through of intercultural contact and interactions -especially, in Abbasid state era. Furthermore, this geography achieved an unprecedented success in establishing distinct historic movement for translating and preserving the human heritage with high accuracy and integrity until the modern era.

Keywords: Geography of the Islamic Arab state, Translating and preserving human heritage.